بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أُولَئِكَ العُلَمَاءُ حَقًّا

الحَمْدُ للهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ العُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَجَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ، فَقَدْ وَرِثُوا عَنْهُمُ العِلْمَ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(١).

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٣٦٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ٢٦٨٢)، وَابْنُ مَاجَهْ (ح ٢٢٣)، وَغَيْرُهُمْ، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي "صَحِيحِ التَّرْغِيبِ"، وَالأَرْنَاءُوطُ فِي تَحْقِيقِهِ لِـ "شَرْحِ السُّنَّةِ" (١/ ٢٧٦).

obeikandl.com

وَقَدْ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِم المِيثَاقَ لَيُبَيِّنُنَّ دِينَ اللهِ لِلنَّاسِ كَافَّةً، وَلَا يَكْتُمُونَهُ، وهم الذين نطقوا بالكتاب ونطق بهم، يَنْفُونَ عَنِ الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ (١).

❁❁❁❁

فَالعُلَمَاءُ هُمْ قَوَامُ الدِّينِ، وَزِينَتُهُ، وَأَئِمَّتُهُ وَقَادَتُهُ، وَأَرْكَانُهُ، وَأُمَنَاءُ اللهِ فِي خَلِيقَتِهِ، العَارِفُونَ بِشَرْعِهِ، المُتَفَقِّهُونَ فِي دِينِهِ، القَائِمُونَ فِي الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا بِمَهَمَّةِ البَلَاغِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّوْجِيهِ وَالإِرْشَادِ.

---

(١) رَوَى ابْنُ عَدِيٍّ فِي الكَامِلِ (١/ ١٥٢، ١٥٣)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي "سُنَنِهِ الكُبْرَى" (١٠/ ٢٠٩)، وَغَيْرُهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ»، وَكُلُّ طُرُقِ الحَدِيثِ لَا تَخْلُو مِنْ ضَعْفٍ.
وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ؛ فَقَالَ :"هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ"، وَجَزَمَ العَلَائِيُّ بِحُسْنِهِ لِتَعَدُّدِ طُرُقِهِ، وَكَذَا قَوَّاهُ ابْنُ القَيِّمِ فِي "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" (ص١٧٧ - ١٧٩)، وَانْظُرْ: "الفَقِيهِ وَالمُتَفَقِّهِ" (٢/ ٥٠)، وَ"شَرَفِ أَصْحَابِ الحَدِيثِ" (ص١٢) كِلَاهُمَا لِلْخَطِيبِ البَغْدَادِيِّ، وَ"الرَّوْضِ البَاسِمِ فِي الذَّبِّ عَنْ سُنَّةِ أَبِي القَاسِمِ" لِـمُحَمَّدِ بْنِ الوَزِيرِ اليَمَانِيِّ.

فَهُمْ قَادَةُ الأُمَّةِ إِلَى طَرِيقِ الهُدَىٰ وَالفَلَاحِ وَالرَّشَادِ، وَهُمْ دُعَاةُ الحَقِّ، وَهُدَاةُ الخَلْقِ، وَعِمَادُهُمْ فِي العِلْمِ وَالفِقْهِ، وَأُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِلَيْهِمْ تَأْرُزُ الأَفْئِدَةُ، وَتَرْجِعُ الأُمَّةُ، وَتَفْزَعُ حِينَ يَجْزُبُهَا أَمْرٌ ذُو بَالٍ، و« صَلَاحُ الْوُجُودِ بِالعُلَمَاءِ، وَلَوْلَاهُمْ كَانَ النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ، بَلْ أَسْوَأَ حَالًا »(١).

فَهُمْ أَدَاةُ إِصْلَاحِ النَّاسِ كَافَّةً، وَالَّذِينَ يُجَنِّبُونَ الأُمَّةَ الرَّدَىٰ، وَيُبْعِدُونَهَا عَنْ طَرِيقِ المَهَالِكِ، فَوُجُودُهُمْ عِصْمَةٌ مِنَ الهَلَاكِ، فَقَدْ سُئِلَ سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ »(٢).

وَلِذَا قَالَ **عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ بَصِيرٍ بِحَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ »(٣).

❁❁❁❁

(١) انْظُرْ "مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة" لِابْنِ القَيِّم (ص ١٣٢).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٨/ ٦٠٦).

(٣) كَمَا فِي "مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة" (ص٦٦)، وَ"إِعْلَام المُوَقِّعِينَ" (٢/ ٢٥٦).

openkenali.com

وَالعُلَمَاءُ هُمْ سَمْعُ الأُمَّةِ وَبَصَرُهَا... فَهُمُ النُّورُ الَّذِي يَسْرِي فِي العَيْنِ، وَالدِّمَاءُ الَّتِي تَجْرِي فِي القَلْبِ، فَبِهِم اللِّسَانُ يَنْطِقُ، وَالأُذُنُ تَسْمَعُ، وَتَدُبُّ الحَيَاةُ فِي الجَسَدِ.

وَلَقَدْ حَفِظُوا عَلَى الأُمَّةِ مَعَاقِدَ الدِّينِ وَمَعَاقِلَهُ، وَحَمَوا مِنَ التَّغَيُّرِ وَالتَّكْدِيرِ مَوَارِدَهُ وَمَنَاهِلَهُ، وَبِيَدِهِمْ مِقْوَدُ أَمَانِ الأُمَّةِ، وَهُمْ أَطْوَادٌ ثَابِتَةٌ أَمَامَ الفِتَنِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالبِدَعِ وَالْمُفْتَرَيَاتِ، وَإِلَيْهِمْ يَرْجِعُ الأَمْرُ وَقْتَ الفِتَنِ حِينَ تَشْتَبِهُ الأُمُورُ، وَيَكْثُرُ الخَلْطُ، وَتَزِيغُ الأَفْهَامُ وَالعُقُولُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (النِّسَاء/ ٨٣).

فَمَرَدُّ الأَمْرِ وَقْتَ الفِتَنِ إِلَى أَهْلِ العِلْمِ وَالفَهْمِ.

❁❁❁❁

فَالعُلَمَاءُ هُمْ غَيْظُ العَدُوِّ، وَقَوَامُ الأَمْرِ، وَهُمْ لأَهْلِ الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، وَكَالشَّمْسِ لِلدُّنْيَا، وَكَالعَافِيَةِ لِلنَّاسِ، وَلَا يُعْرَفُ كَيْفَ يُعْبَدُ اللهُ -كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ- إِلَّا بِهِمْ، وَبِهِمْ يُزَكَّى الوُجْدَانُ، وَتُصْقَلُ النُّفُوسُ، وَيَجْلُو الفِكْرُ وَمَا عَلَقَ

بِالنُّفُوسِ مِنْ عَوَالِقِ الشَّرِّ وَالفَسَادِ، وَيَظْهَرُ الحَقُّ أَبْلَجَ.

فَالعُلَمَاءُ (فِي الخَيْرِ قَادَةٌ وَأَئِمَّةٌ يُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَيُقْتَدَىٰ بِأَفْعَالِهِمْ وَيُنْتَهَىٰ إِلَىٰ رَأْيِهِمْ، تَرْغَبُ المَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَحِيتَانُ البَحْرِ وَهَوَامُّهُ، وَسِبَاعُ البَرِّ وَأَنْعَامُهُ؛ لِأَنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوبِ مِنَ الجَهْلِ، وَمَصَابِيحُ الأَبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ، يَبْلُغُ العَبْدُ بِالعِلْمِ مَنَازِلَ الأَخْيَارِ وَالدَّرَجَاتِ العُلَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ يَعْدِلُ الصِّيَامَ، وَمُدَارَسَتُهُ تَعْدِلُ القِيَامَ، بِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ، وَبِهِ يُعْرَفُ الحَلَالُ مِنَ الحَرَامِ، وَهُوَ إِمَامٌ وَالعَمَلُ تَابِعُهُ، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ وَيُحْرَمُهُ الأَشْقِيَاءُ)(١).

❁❁❁❁

وَلِذَا؛ فَالنَّاسُ أَحْوَجُ إِلَى العُلَمَاءِ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: (٢) «النَّاسُ مُحْتَاجُونَ إِلَى العِلْمِ أَكْثَرُ

---

(١) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي "جَامِعِ بَيَانِ العِلْمِ وَفَضْلِهِ" (١/ ٥٤، ٥٥)، وَالخَطِيبُ وَأَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُمْ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا فِي "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" (١/ ١٣١).

(٢) كَمَا فِي "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" (ص٦٦)، وَ"إِعْلَامِ المُوَقِّعِينَ" (٢/ ٢٥٦).

مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، لأَنَّ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَالعِلْمُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ بِعَدَدِ الأَنْفَاسِ».

بَلْ حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى التَّنَفُّسِ(١)؛ لأَنَّ بِالتَّنَفُّسِ تَحْيَا الأَبْدَانُ، وَبِهِمْ تَحْيَا القُلُوبُ، وَالعِلْمُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ المَاءِ لِلسَّمَكِ، إِذَا فَقَدَهُ مَاتَ؛ وَقَدْ قَالَ **مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَان**:(٢) «وَجَدْتُ صَلَاحَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ».

❁❁❁❁

وَالعُلَمَاءُ هُمُ الوَاسِطَةُ بَيْنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأُمَّتِهِ، فَهُمْ أَرْفَعُ النَّاسِ مَنْزِلَةً بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، قَالَ **سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة**:(٣) «أَرْفَعُ النَّاسِ عِنْد الله مَنْزِلَةً مَنْ كَانَ بَيْنَ الله وَبَيْنَ عِبَادِهِ؛ وَهُمُ الرُّسُلُ وَالْعُلَمَاءُ».

وَقَالَ **سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله التُّسْتَرِيُّ**:(٤) «مَنْ أَرَادَ النَّظَرَ إِلَى

---

(١) انْظُرْ: "مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة" (ص١٢١).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي "جَامِع بَيَانِ العِلْمِ" (١/ ٤٩).

(٣) كَمَا فِي "مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة" (ص١٢٩، ١٨١).

(٤) "أَدَب الفَتْوَى" لِابْنِ الصَّلَاحِ (ص ٣٣)، و"مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة" (ص ١٢٩، ١٨١).

مَجَالِسِ
الأَنْبِيَاءِ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ».

قَالَ **ابْنُ القَيِّمِ**:(١) «وَهَذَا لأَنَّ الْعُلَمَاءَ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ فِي أُمَمِهِمْ وَوَارَثُوهُمْ فِي عِلْمِهِمْ؛ فَمَجَالِسُهُمْ مَجَالِسَ خِلَافَةِ النُّبُوَّةِ».

وَقَالَ **أَبُو الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ**:(٢) «لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ العِلْمِ، المُلُوكُ حُكَّامُ النَّاسِ، وَالعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى المُلُوكِ».

❁❁❁❁

هُمْ حَفَظَةُ الدِّينِ وَخَزَانَتُهُ، وَأَوْعِيَةُ العِلْمِ وَحَمَلَتُهُ، (سَلَكُوا مَحَجَّةَ الصَّالِحِينَ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ السَّلَفِ مِنَ المَاضِينَ)، الكِتَابُ عُدَّتُهُمْ، وَالسُّنَّةُ حُجَّتُهُمْ، (فَعُقُولُهُمْ بِلَذَاذَةِ السُّنَّةِ غَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ بِالرِّضَا فِي الْأَحْوَالِ عَامِرَةٌ، تَعَلُّمُ السُّنَنِ سُرُورُهُمْ، وَمَجَالِسُ الْعِلْمِ حُبُورُهُمْ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ قَاطِبَةً إِخْوَانُهُمْ، وَأَهْلُ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ بِأَسْرِهَا أَعْدَاؤُهُمْ)(٣).

---

(١) "مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة" (ص١٢٩).

(٢) "تَذْكِرَة السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّم" لِابْنِ جَمَاعَةٍ (ص١٠).

(٣) "مَعْرِفَة عُلُومِ الحَدِيث" لِلْحَاكِمِ (ص٢).

وَالعُلَمَاءُ هُمْ عِصْمَةُ الأُمَّةِ مِنَ الضَّلَالِ بِتَرَؤُّسِ الجُهَّالِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم:(١) «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».

فَوُجُودُ العُلَمَاءِ يَمْنَعُ إِفْتَاءَ الجُهَّالِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَهُمْ فِي النِّهَايَةِ مَانِعٌ مِنَ الضَّلَالِ وَالإِضْلَالِ.

وَهُمْ (يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ)(٢)، وَكَمَا قَالَ **عُبَيْدُ الله بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ**: «الْعُلَمَاءُ مَنَارُ الْبِلَادِ، مِنْهُمْ يُقْتَبَسُ النُّورُ الَّذِي يُهْتَدَىٰ بِهِ»(٣).

❁❁❁❁

وَهُمْ رَأْسُ الطَّائِفَةِ الظَّاهِرَةِ الْمَنْصُورَةِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِم النَّبِيُّ

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ البخاري ح (١٠٠، ٧٣٠٧)، وَمُسْلِمٌ (٤/ ٢٠٥٨).

(٢) انْظُرْ: "جَامِع بَيَانِ العِلْمِ وَفَضْلِه" لِابْنِ عَبْدِ البَرِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ (١/ ٥٢، ٥٣).

(٣) رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي "جَامِع بَيَانِ العِلْمِ" (١/ ٥٠).

صلى الله عليه وآله وسلم: (١) «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ».

قَالَ **الْبُخَارِيُّ**: «هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ».

وَقَالَ **أَحْمَدُ**: «إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ».

وَقَالَ الْقَاضِي **عِيَاضٌ**: «إِنَّمَا أَرَادَ أَحْمَدُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَمَنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَدِيثِ»(٢).

❁❁❁❁

فَالعُلَمَاءُ هُمْ رَأْسُ الجَمَاعَةِ الَّتِي أُمِرْنَا بِلُزُومِهَا؛ كَمَا فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: (١) «**مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ**»، وَغَيْرِهِ مِنَ الأَحَادِيثِ.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: البُخَارِيُّ (ح ٧٤٥٩، ٧٣١١، ٣٦٤٠)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٩٢٠)

(٢) انْظُرِ الأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ فِي "شَرْحِ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ" (١٣/ ٦٦-٦٧).

obeikandl.com

قَالَ عَنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه :(٢) « الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَآثَارَهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ ».

وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ:(٣) «أُولَئِكَ هُمُ الْأَقَلُّونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْرًا بِهِمْ يَدْفَعُ اللهُ عَنْ حُجَجِهِ حَتَّى يُؤَدُّوهَا إِلَى

---

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي "سُنَنِهِ" (ح ٢٨٦٣)، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وَرَاجِعْ تَخْرِيجَهُ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ (ح ٩٨٣، ٩٨٤) وَ"تَخْرِيج السُّنَّة" لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ (ح٩٠، ٩١، ٨٩٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤).

(٢) انْظُرْ: ابْن عَبْدِ البَرِّ فِي "جَامِع بَيَانِ العِلْمِ وَفَضْلِه" (١/ ٥٧)، وَهُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخْعِيِّ.

(٣) حَدِيثُ عَلِيٍّ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ: رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي "الحِلْيَة" (١/ ٨٠،٧٩)، وَالخَطِيبُ فِي "الفَقِيه وَالمُتَفَقِّه" (١/ ٤٩، ٥٠)، وَانْظُرْ: "جَامِع بَيَانِ العِلْمِ" (٢/ ١١٢)، و "مِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة" (ص١٢٤).

وَنَصُّ كَلَامِ عَلِيٍّ؛ كَمَا فِي الحِلْيَةِ: عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: " أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَّانِ، فَلَمَّا أَصْحَرْنَا جَلَسَ ثُمَّ تَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ: "يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى

رُكْنٍ وَثِيقٍ. الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، وَمَحَبَّةُ الْعَالِمِ دَيْنٌ يُدَانُ بِهَا، الْعِلْمُ يُكْسِبُ الْعَالِمَ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَصَنِيعَةُ الْمَالِ تَزُولُ بِزَوَالِهِ. مَاتَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ، هَاهْ إِنَّ هَهُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - عِلْمًا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً، بَلَى أَصَبْتُهُ لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، يَسْتَظْهِرُ بِحُجَجِ اللهِ عَلَى كِتَابِهِ، وَبِنِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي إِحْيَائِهِ، يَقْتَدِحُ الشَّكَّ فِي قَلْبِهِ، بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، لَا ذَا وَلَا ذَاكَ، أَوْ مَنْهُومٌ بِاللَّذَّاتِ، سَلِسُ الْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ، أَوْ مُغْرًى بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ وَالِادِّخَارِ، وَلَيْسَا مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبَهًا بِهِمَا الْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّنَاتُهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْأَقَلُّونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْرًا، بِهِمْ يَدْفَعُ اللهُ عَنْ حُجَجِهِ، حَتَّى يُؤَدُوهَا إِلَى نُظَرَائِهِمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا مِمَّا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي بِلَادِهِ، وَدُعَاتُهُ إِلَى دِينِهِ. هَاهْ هَاهْ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَتِهِمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكَ، إِذَا شِئْتَ فَقُمْ".

نُظَرَائِهِمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى».

❁❁❁❁

وَنَقْصِدُ بِـ(**العُلَمَاءِ**): العُلَمَاءَ الرَّبَّانِيِّينَ؛ أَهْلَ الأَثَرِ وَالفِقْهِ، الَّذِينَ يَتَمَيَّزُونَ بِالإِتْقَانِ وَالفَهْمِ وَالعَقْلِ وَالرَّزَانَةِ.

وَلَا بُدَّ أَنْ نُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كُلٍّ مِنْ:

• القُرَّاء الَّذِينَ يَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهُ دُونَ فِقْهٍ وَفَهْمٍ، وَدُونَ التَّعَرُّفِ عَلَى مَقَاصِدِهِ، فَنَحْنُ فِي زَمَنٍ كَثُرَ فِيهِ القُرَّاءُ، وَقَلَّ فِيهِ الفُقَهَاءُ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:(١) «**سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْقُرَّاءُ وَتَقِلُّ الْفُقَهَاءُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**».

وَقَدْ لَا يَكُونُ لِحَافِظِ القُرْآنِ مِنْهُ نَصِيبٌ إِلَّا مُجَرَّدَ مُرُورِهِ عَلَى لِسَانِهِ دُونَ أَنْ يَصِلَ إِلَى قَلْبِهِ فَيَعْلَقَ بِهِ وَيُؤَثِّرَ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ

---

(١) رَوَاهُ الحَاكِمُ (٤/ ٤٥٧)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي "الأَوْسَط"، كَمَا فِي "مَجْمَع الزَّوَائِد" (١/ ١٨٧)، وَانْظُرْ: "المَجْمَع" (١/ ١٢٧).

الخَوَارِجِ:(١) «يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ».

• الخُطَبَاءِ وَالوُعَّاظِ: بِالرُّغْمِ مِنْ حُسْنِ حَدِيثِهِمْ، وَحَلَاوَةِ مَنْطِقِهِم الَّذِي يَسْلُبُونَ بِهِ الأَلْبَابَ وَالمَشَاعِرَ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْهُمْ عُلَمَاء أَفْذَاذٌ، وَلَكِنَّهُمْ قِلَّةً؛ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ عُلَمَاؤُهُ، قَلِيلٍ خُطَبَاؤُهُ، ... وَإِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانًا كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ، قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ»(٢). فَالعُلَمَاءُ قَلِيلُونَ، أَمَّا المُتَكَلِّمُونَ فَكَثِيرُونَ.

قَالَ مُجَاهِدٌ رحمه الله:(٣) «ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا المُتَكَلِّمُونَ وَمَا المُجْتَهِدُ فِيكُمْ إِلَّا كَاللَّاعِبِ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

❁❁❁❁

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٣٣٤٤)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٠٦٤).
(٢) رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي "الأَدَبِ المُفْرَد" (ح ٧٨٩)، وَصَحَّحَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي "المَجْمَع" (١٠/ ٢٤٩)، وَالحَافِظُ فِي "الفَتْح" (١٠/ ٥١٠)، وَالأَلْبَانِيُّ فِي "تَخْرِيج العِلْم" لأَبِي خَيْثَمَةَ (ص١٠٩).
(٣) رَوَاهُ أَبُو خَيْثَمَةَ فِي "العِلْم" (ص٦٩).

وَنُحَذِّرُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَعْلَقُوا مِنَ العِلْمِ بِشَيْءٍ إِلَّا رُسُومًا وَأَشْكَالًا فِي اللِّبَاسِ وَالهَيْئَةِ، وَيَتَقَعَّرُونَ وَيَتَشَدَّقُونَ بِأَسَالِيبِ المَنْطِقِ وَالكَلَامِ، فَغَايَةُ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ عِبَارَاتٌ وَشَقَاشِقُ لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهَا، يُحَرِّفُونَ بِهَا الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، فَهُمْ مُتَشَدِّقُونَ مُتَفَيْهِقُونَ يُوهِمُونَ الأَغْرَارَ أَنَّهُمْ عُلَمَاءُ، وَمَا هُمْ بِعُلَمَاءٍ، إِنَّمَا اتَّخَذُوا العِلْمَ مِهْنَةً يَتَعَيَّشُونَ بِهَا وَيَتَأَكَّلُونَ.

إِنَّنَا نُرِيدُ عُلَمَاءَ أَبْرَارًا قُدْوَةً، عِنْدَهُمْ مِنْ سِعَةِ العِلْمِ وَصَفَاءِ النَّفْسِ وَقُوَّةِ المَعْرِفَةِ وَالفَهْمِ مَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْفَعُوا بِهِ الحَيْرَةَ المُدَمِّرَةَ عَنْ خَاطِرِ العَوَامِ وَالجُهَّالِ.. عُلَمَاءُ تَشْرَئِبُّ إِلَيْهِمِ الأَعْنَاقُ إِجْلَالًا وَتَقْدِيرًا وَوَلَاءً، لَا تُخِيفُهُمُ المِحَنُ، وَلَا تُلْهِيهِمُ الفِتَنُ، بَلْ يَتَحَمَّلُونَ نَارَهَا بِصَبْرٍ وَجَلَدٍ، فَنَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا... لَا يَهَابُونَ سُلْطَانًا جَائِرًا، وَلَا حَاكِمًا جَبَّارًا، لَا يُدَاهِنُونَ وَلَا يَتَمَلَّقُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ عِلْمًا، وَلَا يَسْكُتُونَ عَنِ الحَقِّ، وَلَا يَخْشَوْنَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، لَا يُغْرِيهِمُ المَالُ، وَلَا القُرْبُ مِنْ أَصْحَابِ الجَاهِ وَالنُّفُوذِ، بَلْ هُمْ فِي حِرْصٍ بَالِغٍ عَلَى الوُصُولِ إِلَى الجَنَّةِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ (البَقَرَة/٢٠٧)،

يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى دِينِهِمْ، وَلَا يَحْتَاجُونَ هُمْ لِدُنْيَا النَّاسِ، قَالَ أَحَدُ الوُلَاةِ عَنِ **الحَسَنِ البَصْرِيِّ**: «احْتَجْنَا إِلَى دِينِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ دُنْيَانَا»، فَمَاذَا يَكُونُ الحَالُ إِذَا احْتَاجَ العُلَمَاءُ إِلَى مَا عِنْدَ الحَاكِمِ مِنَ الدُّنْيَا، وَاسْتَغْنَى الحُكَّامُ عَمَّا عِنْدَ العُلَمَاءِ مِنْ دِينٍ؟!

❁❁❁❁

فَهَؤُلَاءِ هُمُ العُلَمَاءُ بِحَقٍّ، الَّذِينَ جَاءَتِ النُّصُوصُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مُسْتَفِيضَةً فِي فَضْلِهِمْ.

حَشَرَنَا اللهُ وَإِيَّاهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مَعَ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَإِمَامِ الدُّعَاةِ المُخْلِصِينَ؛ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.

❁❁❁❁